القسم الأول

أهل الرَّحمة

فى القرآن الكريم

١ ـ الذين اختَصَّهُم الله برحمته

وهم أهل هذه الأمة المحمدية ، ابتداء من بعثة الحبيب المصطفى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ـ بصفة خاصة[١] ـ كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى فى سورة البقرة ، مخاطباً الرسول ﷺ وأصحابه:

ـ ﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ ﴾ أى : ما يحب الكافرون من أهل الكتاب ، ولا المشركين بالله من عبدة الأوثان ﴿ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ أى : ما يُحبون ـ حسداً وبغيًا ـ أن يُنَزَّل عليكم القرآن ، وما أوحاه الله إلى محمد ﷺ من آياته وأحكامه ﴿ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ﴾ أى : يختص بالنبوة والرسالة ، والهداية والإيمان، من شاء من خلقه ﴿ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾[٢] أى : والله ذو الإنعام العظيم ، فكل خير ناله عباده فى دينهم ودنياهم ، فإنه من عنده تعالى ، ابتداء وتفضلاً منه عليهم ، من غير استحقاق منهم لذلك عليه . والآية تعريض بأهل الكتاب فى حسدهم للنبى ﷺ والمؤمنين .

---

(١) وأعنى بهذا أن كل من آمن بالله ورسله من أولهم إلى آخرهم ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ سيكون أهلاً لرحمة الله . . إن شاء الله .

(٢) سورة البقرة ، من الآية ١٠٥ ، والتفسير من مختصر الطبرى . . بتصرف .

(والآية) تذكرنا أيضاً بأن الكفار والمشركين فى كل زمان ومكان .. لن تصفو قلوبهم لأهل الإيمان من أبناء الأمة المحمدية .. حسداً وبغياً . ولهذا .. فإنه ينبغى أن يكون هناك حذر منهم ، ومن مكائدهم .. وهذا هو المشار إليه فى قول الله تبارك وتعالى فى سورة البقرة : ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ** ﴾ أى : وقال النصارى[1] ، الجهال بالله وبعظمته : هَلاَّ يكلمنا ربنا كما كلم أنبياءه ورسله ، أو تجيئنا علامة نعرف بها صدق ما نحن عليه ؟ ﴿ **كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ** ﴾ أى : كما قال هؤلاء الجهال من النصارى ، كذلك قال مَن قبلَهُم من اليهود ، فسألوا أن يُرِيَهُم الله نفسه جهرة، ويؤتيهم آية ، وتمنَّوا الأمانىَّ ﴿ **تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ** ﴾ أى : اشتبهت قلوب اليهود والنصارى فى تمردهم على الله ، وجُرأتهم على أنبيائه ورُسله ، كما اشتبهت أقوالهم التى قالوها .

﴿ **قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ** ﴾ أى : قد وضَّحنا العلامات التى من أجلها غضب الله على اليهود والنصارى ، فمسخ اليهود قردة وخنازير ، وأخزى النصارى ﴿ **لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ** ﴾ أى : لقوم يطلبون معرفة حقائق الأشياء على صحة ويقين ﴿ **إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ** ﴾ أى : إنا أرسلناك يا محمد بالإسلام الحقِّ ، الذى

---

(١) وقد ذهب الطبرى إلى أن المراد بالذين لا يعلمون : (النصارى)، والذين من قبلهم : (اليهود). وهذا مروى عن مجاهد . وذهب بعض المفسرين إلى أن المراد بالذين لا يعلمون : (مشركو العرب) ، والذين من قبلهم : (اليهود والنصارى) ، وهو قول قتادة .. وهذا القول أظهر .. والله أعلم .. (هامش المختصر) .

لا يقبـــل الله دينًا غيره ﴿ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ أى : مُبشِّرًا لمن أطاعك بالنصر فى الدنيا ، والنعيم المقيم فى الآخرة ، ومُنذرًا لمن عصاك بالخزى والذُّلِّ فى الدنيا ، والعذاب المُهين فى الآخرة ﴿ وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴾ أى : ولستَ مسئولاً يا محمد عمن كفر ، وكان من أصحاب الجحيم ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ أى : لن يرضى عنك يا محمد اليهود ولا النصارى أبداً ، حتى تنسلخ عن دينك وتكون يهودياً ونصرانياً ، فدَعْ طلب ما يُرضيهم ويوافقهم ، وأقْبِلْ على طلب رضا الله فيما بعثك فيه من الحق .

﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ﴾ أى : قل لهم يا محمد : إن بيان الله هو البيان المقنع ، والقضاء الفاصل بيننا ، فهلموا إلى كتاب الله وبيانه ، يتَّضح لكم المحقُّ منَّا من المُبطل ، وأيُّنَا أهل الجنة وأيُّنَا أهل النار ﴿ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم ﴾ أى : ولئن اتبعتَ يا محمد هوى هؤلاء اليهود والنصارى ﴿ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ أى : بعد ما وضَّحْتُ لك حالهم ، وقَصَصْتُ عليك نبأهم ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾[1] أى : ليس لك يا محمد من يتولى أمرك ، ولا مَن ينصرك من الله ، فيدفع عنك عذابه وانتقامه .

كما يقول تبارك وتعالى أيضاً فى سورة آل عمران مؤكِّداً هذا المعنى الأول والأخير[2] :

---

(١) سورة البقرة ، الآيات ١١٨ ـ ١٢٠ ، والتفسير من مختصرتفسير الطبرى ، بتصرف .

(٢) أى : المشار إليه فى أول الكلام وآخره .

ـ ﴿ وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ أى : وقالت جماعة من اليهود ﴿ آمِنُوا بِالَّذِى أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ ﴾ أى : صدِّقوا بالذى أُنزل على المؤمنين أول النهار ، واكفروا آخر النهار ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ أى : لعلهم يرجعون عن دينهم[1] ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾ أى : ولا تُصَدِّقوا ـ يا معشر اليهود ـ إلا لمن تبع دينكم ، فكان يهودياً وهذا خبر عن اليهود فيما قالوه لإخوانهم ﴿ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ ﴾ أى : قل يا محمد لهم: إن التوفيق توفيق الله ، والبيان بيانه .. وهى جملة اعتراضية ثم رجع الحديث إلى كلامهم فقال : ﴿ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ﴾ أى : يقولون : ولا تؤمنوا ـ بمحمد ودينه ـ لئلاّ يؤتى أحدٌ مثل ما أوتيتم من الوحى ، أو يُحاجّوكم عند ربكم ، أى : يتخذونه حُجَّةً عليكم بما فى أيديكم ﴿ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ﴾ أى : قل لهؤلاء اليهود : إن التوفيق للإيمان ، والهداية للإسلام ، بيد الله وحده ، يُعطيهما من أراد من عباده ﴿ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ أى : والله واسع الفضل، عليم بمن هو أهل لذلك ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ﴾ أى : يخُصُّ بالإسلام والقرآن من يشاء .

---

(١) تواصى اليهود ـ فيما بينهم ـ أن يؤمن فريق منهم أول النهار ، ثم يكفروا آخره لأجل أن تتزلزل عقائد المؤمنين ، فيقولوا فى أنفسهم : ما رجع هؤلاء عن الدين إلا لنقيصة وعيب فيه . وهذه مكيدة أرادها اليهود ليلبسوا على الضعفاء أمر دينهم .

﴿ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾[1] أى : ذو الإنعام والتفضل الواسع .

ـ فلاحظ كل هذا أخا الإسلام .. وأنت تحرص كل الحرص على أن تكون من أهل هذا الفضل العظيم .. والله ولى التوفيق .

***

(١) سورة آل عمران ، الآيات (٧٢ ـ ٧٤) والتفسير من مختصر تفسير الطبرى .. بتصرف .

٢ ـ المُبتَلَون .. الصَّابِرون

ـ ولكى نقف على أبعاد هذا العنوان المهم ، الذى يتعلق بالصبر على المصائب .. وما يتبع ذلك من بشائر .. كما أشار الله تعالى إلى هذا فى ثلاث آيات من سورة البقرة .. أحب أولاً أن نقرأ الآيتين اللتين قبل تلك الآيات الثلاث (١) ، حتى نعرف مَنِ المخاطبون فيها ، فقد قال الله تعالى :

ـ ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ** ﴾ أى : استعينوا بالصبر والصلاة على مرضاة الله ، فإنكم بالصبر على المكاره ، ثم بالفزع إلى الصلاة ، تدركون حاجاتكم ومرضاتى ﴿ **إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ أى : فإنى مع الصابرين ، أنصرهم ، وأرعاهم ، وأكلؤهم ﴿ **وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ** ﴾ أى : لا تقولوا لمن قُتِلَ فى سبيل الله هو ميِّتٌ ، فإن الميتَ مَن لا يلتذ لذةً ، ولا يدرك نعيمًا ، ومَن قُتل فى سبيل الله ، فهو فى حياة ونعيم ، وعيش هنىء ، يُرزقون من مآكل الجنة ومطاعمها ، وهم فى برزخِهِم يُنَعَّمُون ﴿ **وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ** ﴾ أى : ولكنكم لا ترونهم فتعلموا أنهم أحياء .

ـ ثم بعد ذلك يقول الله تعالى مخاطباً المؤمنين ـ الذين نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم ، حتى نحشر معهم فى الجنة إن شاء الله ـ :

---

(١) والآيات الخمس من سورة البقرة (١٥٣ ـ ١٥٧) .

ـ ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ ﴾ أى : ولنختبرنكم ـ أيها المؤمنون ـ بشىء من الخوف الذى ينالكم من عدوكم ، وبشىء من الجوع ـ بسبب القحط الذى تنالكم فيه مجاعة وشدة ﴿ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ﴾ ، أى : وبشىء من نقص الأموال ، والأولاد ، والثمار ، كل ذلك للامتحان والاختبار ، ليتبين الصادق فى الإيمان من المنافق ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ أى : وبشر يا محمد الصابرين على بلائى ، المستسلمين لقضائى بما يَسُرُّهم من المغفرة والرحمة ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ أى : القائلين عند المصيبة : إنَّا عبيدٌ لله فى حياتنا ، وصائرون إليه بعد مماتنا ﴿ أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ أى : هؤلاء الصابرون لهم مغفرة من ربهم لذنوبهم ، ولهم رحمة من الله ورأفة ﴿ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ أى : المصيبون لطريق الحق ، المهتدون للرشد والصواب .

هذا .. وإذا كان الابتلاء معناه الاختبار .. فإن المراد منه ، هو أن يطمئن الإنسان على نفسه ، وهو أيضاً ـ فى نفس الوقت ـ بمثابة المرآة ، التى إذا نظر الإنسان فيها عرف إذا كان من المؤمنين الصادقين المُبَشَّرين بثواب الصابرين ، أم لا ؟ وكذلك يتبين له إذا كان من الراضين عن الله تعالى أم لا ؟ .. وقد قرأت حول هذا المعنى أن إحدى الصالحات ـ عليها رضوان الله ـ سمعت رجلاً يقول : « اللهم ارض عنِّى » .. فقالت له : « لو رضيت عن الله ؛ لرضى

الله عنك !!» فقال لها : « وكيف أرضى عن الله ؟ » ، فقالت له : « يوم أن تفرح بالمصيبة فرحك بالنعمة ، لأن كلتيهما من عند الله ».

وهذا الكلام معناه : أنه ينبغى ألا يكون هناك جزع بتلك الصورة التى تحدث من بعض الناس ، والتى قد تؤدى إلى الكفر والعياذ بالله[1].

ولهذا .. فقد رأيتُ ـ بعد هذه الإشارة السريعة ـ أن أقف مع الأخ المؤمن على بعض الأحاديث الشريفة ، التى أرجو أن تكون سببًا فى تأكيد إيماننا عند الابتلاء ..

ـ فعن أبى يحيى صُهَيْب بن سِنَان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «عجباً لأمر المؤمن ، إن أمره كلَّهُ له خيرٌ ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن .. إن أصابته سراءُ ؛ شكر ؛ فكان خيراً له ، وإن أصابته ضَرَّاءُ ؛ صبر ؛ فكان خيراً له » رواه مسلم .

ـ وعن أبى زيد أُسامَةَ بن زيد بن حارثةَ مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحِبِّه وابن حِبِّه رضي الله عنه قال : أرسلت بنتُ النبى ﷺ أن ابنِى قد احتُضِرَ فاشهَدْنَا ، فأرسَلَ يُقرِئُ السلامَ ويقول : « إن لله ما أخَذَ ، وله ما أعطى ، كلُّ شىء عنده بأجَلٍ مُسَمّى ، فلتَصْبِرْ ولتَحتَسِبْ » ، فأرسلت إليه تُقْسِمُ عليه ليأتينَّها ، فقام ومعه سعدُ بن عُبادةَ ، ومعاذُ بنُ جبلٍ ، وأُبَيٌّ ، وزيدُ ابن ثابتٍ ورجالٌ رضى الله عنهم ، فرُفِعَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصَّبِيُّ ، فأقعده فى حجرِهِ ونفسُهُ تَقَعْقَعُ[2] ففاضت عيناهُ[3] ، فقال

(١) وذلك بسبب لطم الخدود وشقِّ الجيوب .. إلخ ، والعياذ بالله .

(٢) معنى تقعقع : أى : تتحرك وتضطرب .

(٣) أى : بالدموع .

سعدٌ : يا رسول الله ما هذا؟ فقال : « **هذه رحمة جعلها اللهُ تعالى في قلوبِ عباده** » .

وفي رواية : « **في قلوب من شاء مَن عباده ، وإنما يرحمُ اللهُ من عباده الرحماء** » متفق عليه .

ـ وعن أنسٍ ﷺ قال : مَرَّ النبي ﷺ على امرأة تبكي عند قبر ، فقال : «**اتقي الله واصبِرِي** » فقالت : إليك عنِّي ، فإنك لم تُصَبْ بمصِيبَتي ، ولم تعرفه . فقيل لها : إنه النبي ﷺ ، فأتت بابَ النبي ﷺ فلم تجد عنده بوَّابِينَ ، فقالت : لم أعرفك ، فقال : « **إنما الصبر عند الصدمةِ الأولى** » متفق عليه . وفي رواية لمسلم : تبكي على صبي لها .

ـ وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « **يقول الله تعالى : ما لعبدي المؤمِن عندي جزاءٌ إذا قَبضْتُ صَفِيَّهُ من أهل الدنيا ، ثم احتَسبَهَ إلا الجنةُ** » رواه البخاري .

ـ وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها سألت رسول الله ﷺ عن الطاعون ؟ فأخبرها : « **أنه كان عذاباً يبعثه الله تعالى على مَن يشاء ، فجعله الله تعالى رحمة للمؤمنين ، فليس من عبد يقع في الطاعون ؛ فيمكث في بلده صابراً مُحتَسبًا ، يعلم أنه لم يُصِبْهُ إلا ما كتب الله له ؛ إلا كان له مثلُ أجر الشهيد** » رواه البخاري .

ـ وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إن الله عز وجل قال :« **إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه**[1] **فصبَرَ عوَّضتُه منهما الجنّة** » رواه البخاري.

---

(١) يريد : عينيه .

ـ وعن أبى سعيد وأبى هريرة رضي الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « **ما يُصيبُ المسلمَ من نَصَبٍ ، ولا وَصَبٍ[1] ولا هَمٍّ ، ولا حَزَنٍ ، ولا أذى ، ولا غَمٍّ ، حتى الشوكةِ يُشاكها ، إلا كفَّر الله بها من خطاياه** » متفق عليه .

ـ وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : دخلتُ على النبى ﷺ وهو يُوعَكُ ، فقلت : يا رسول الله إنك تُوعكُ[2] وعكًا شديداً ؟ قال : « **أجل إنى أوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رجلان منكم** » قلت : **ذلك أن لك أجْرين ؟** قال : « **أجل ذلك كذلك ، ما من مسلم يُصيبُه أذى شوكة فما فوقها ، إلا كَفَّر الله بها سيئاته ، وَحُطَّت عنه ذنوبُه كما تَحُطُّ الشجرةُ ورقها** » متفق عليه .

ـ وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **مَن يُرِدِ الله به خيرًا يُصِبْ[3] منه** » رواه البخارى .

.. فعلى الأخ المسلم والأخت المسلمة أن يلاحظا كل هذا ويذكراه .. بل وينفذاه .. إذا حدث لهما هذا الابتلاء الذى نسأل الله سبحانه وتعالى أن يُعافينا منه .. أو يُعيننَا عليه .. حتى نكون ـ إن شاء الله تعالى ـ من المُبَشَّرين بجزاء الصابرين .. بل ومن المشار إليهم فى قول الله تبارك وتعالى :

﴿ **إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾[4] .

أسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم ، حتى نكون أهلاً لرحمته سبحانه .. اللهم آمين .

---

(١) الوصب ، أى : المرض .

(٢) الوعك : مَغْث الحُمَّى ، وقيل : الحُمَّى .

(٣) وضبطوا « يُصب » بفتح الصاد وكسرها .

(٤) الزمر ، من الآية ١٠ .

٣ ـ أهْلُ البِرِّ .. فى آية البِرِّ

وهم الذين تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى آية البر ، التى يقول تعالى فيها:

ـ ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾ أى : ليس البر ـ يا معشر اليهود والنصارى ـ أن يُولِّىَ بعضُكم وجهه قِبَلَ المشرق ، وبعضكم قِبَل المغرب ـ وكانت اليهود تُصَلِّى قِبَل المغرب ، والنصارى قِبَل المشرق ـ ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ أى : ولكن البِرَّ بِرُّ مَن صَدَّق بالله ، وبالآخرة ، وآمن بالملائكة ، والكُتب ـ أى: المنزلة ، وهى التوراة ، والإنجيل ، والزَّبور ، والفرقان ـ والرسُل ﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ ﴾ أى : وأعطى ماله وهو مُحبٌّ له[1] ، حريص على جمعه ، شحيح به ، لذوى القرابة ، ولليتامى الذين مات آباؤهم ـ وهم دون البلوغ ـ ولأصحاب الحاجة والفاقة ﴿ وَابْنَ السَّبِيلِ ﴾ أى : وللمسافر الذى انقطع فى سفره ، سُمِّى (ابن السبيل) لملازمته الطريق ﴿ وَالسَّائِلِينَ ﴾ أى : الطالبين للعون ﴿ وَفِي الرِّقَابِ ﴾ أى: وفى فكِّ الرقاب من العبوديَّة ، وهم المُكاتبون ﴿ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ ﴾ أى : وأدَّى الصلاة بحدودها ، وأعطى الزكاة كما

---

(١) أى : وهو محب لله تبارك وتعالى .

فرضها الله عليه ﴿ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ﴾ أى : لا ينقضون عهد الله بعد المعاهدة ﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ ﴾ أى : وأمدح الصابرين[1] ،وقت البؤس والضُّر ﴿ وَحِينَ الْبَأْسِ ﴾ أى : والصابرين وقت شدة القتال فى الحرب ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ﴾ أى : صدقوا الله فى إيمانهم وحققوا أقوالهم بأفعالهم ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾[2] أى : الذين اتقوا عقاب الله ، بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه ..

ولا شك أنهم بسبب هذا البر المؤكَّد بكل تلك الأعمال الصالحة ـ والمُتوَّج كذلك بالصدق والتقوى ـ سيكونون من أهل الرحمة الذين أعد الله تعالى لهم فى جنة الخلد ما لا عين رأت ، ولا أذُنٌ سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ـ كما أكد الله تعالى هذا فى كثير من آياته القرآنية ، وعلى لسان حبيبه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه .

فلنكن ـ إن شاء الله تعالى ـ من أهل البر ، حتى نكون من الذين سيحشرون معهم فى جنة الخلد مع ﴿ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾[3] .

والله ولى التوفيق .

---

(١) البأساء : الفاقة والفقر ، والضراء : الوجع والمرض يُصيب الجسد .. وانتصب لفظ «والصابرين » لأن العرب تنصب على المدح والذم .. والمعنى : وأمدح الصابرين وأخصهم بالثناء .

(٢) سورة البقرة ، الآية رقم ١٧٧ ، والتفسير من المختصر بتصرف .

(٣) النساء ، من الآية ٦٩ .

٤ ـ المؤمنون الذين كُتبَ عليهم القِصَاص فى القَتْلَى

وهم الذين قال الله تعالى مخاطباً إياهم :

ـ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ﴾ أى : فُرِضَ عليكم القصاصُ من القاتل ـ دون غيره ـ وذلك لأن العرب كانوا إذا قتلت فيهم امرأة ، قالوا : لا نقتل بها إلا رجلاً ، وإذا قتل فيهم عبد ، قالوا : لا نقتل به إلا حُراً ، فكان هذا بغياً وعدوانًا ، ولهذا قال تعالى آمراً بقتل القاتل فقط ﴿ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَىٰ بِالأُنثَىٰ ﴾ أى : أن يُقتصَّ الحرُّ بالحُرِّ ، والعبدُ بالعبد ، والأنثى بالأنثى ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ ﴾ أى : فمن صُفِحَ له من أخيه ، عن شيء من الواجب ، من الدِّيَة أو غيرها ﴿ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ أى : فعلى الراضى بالدية ـ وهو وليُّ القتيل ـ أن يطالب بدِيَتِه بالمعروف ، وهى مائة من الإبل دون زيادة ﴿ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ﴾ أى : وعلى القاتل أن يدفع ما لزمه بقتله من الدية بإحسان ، دون أن يُحوجه إلى المطالبة[١] ﴿ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ أى : ما حكمت به من قبول الدية ، تخفيف منى عليكم ، ورحمة منى لكم ، أطعمتكم الدية ، وأحلَلْتُها لكم ، ومنعتُها من كان قبلكم من الأمم ﴿ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ

---

(١) قال ابن عباس : العفو أن يقبل الدية فى العمد ، فيطلب هذا بمعروف ، ويؤدى هذا بإحسان .

﴿ أَلِيمٌ ﴾ أى : فمن اعتدى بعد أخذه الدية ، فسفك دم القاتل ، فله عذاب أليم مُوجِع .

﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ ﴾ أى : ولكم يا أصحاب العقول ـ فيما فرضت عليكم من القصاص ـ ما يمنع به بعضكم من قتل بعض، فتكون لكم بذلك الحياة ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[1] أى : كى تنتهوا بالقصاص عن القتل .. وخصَّ الله تعالى بالخطاب أهل العقول ، لأنهم هم الذين يعقلون عن الله ، أمره ونهيه ، ويتدبرون حججه ..

فلنكن إن شاء الله تعالى ـ كذلك ـ من العقلاء المخاطبين بهذا الخبر الذى ينبغى علينا أن نلاحظ دائماً المراد منه حتى نكون من أهل العدل لا من أهل الظلم[2] ، لأن العدل أساسُ الملك ، ولأن العدلَ ـ إن دام ـ عمَّر ، والظُّلْمَ ـ إن دام ـ دمَّر .

والله تعالى يقول : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[3] .

ولا سيَّما إذا كَان هذا العدلُ يتعلَّقُ باستمرارية الحياة ، دون خراب أو سفك للدماء .. والعياذ بالله .

أسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل العدل ، حتى نكون ـ إن شاء الله ـ من أهل الرحمة .. اللهم آمين .

---

(١) سورة البقرة ، الآيتان : ١٧٨ ، ١٧٩ .

(٢) فى جميع صوره .

(٣) سورة النحل ، الآية ٩٠ .

٥ ـ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله ... والذين يرجون رحمة الله

وهم الذين قال الله تعالى عنهم :

ـ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أى : الذين صدَّقوا بالله وبرسوله ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا ﴾ أى : هجروا مُساكنة المشركين ومجاورتهم فى ديارهم ﴿ وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ أى : قاتلوا وحاربوا الأعداء ، نُصرةً لدين الله ﴿ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ ﴾ أى : يطمعون فى دخول جنته ، بفضل الله ورحمته ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1] أى : ساتر لذنوب العباد ، مُتفضِّل عليهم بالرحمة .

ففى هذه الآية الكريمة ـ وفى ختامها بصفة خاصة ـ يشير الله تبارك وتعالى إلى تفضله بالرحمة على هؤلاء الذين آمنوا ، وهاجروا ، وجاهدوا فى سبيل الله .. وذلك لأن هؤلاء الذين يرجون رحمة الله ؛ كانوا أهلاً لها .. لا بالكلام .. ولكن بالإيمان ، والهجرة ، والجهاد فى سبيل الله[2] ..

والله تعالى يقول :

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢١٨ .

(٢) بالنفس والنفيس .

ـ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾[1].

ـ وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : سُئل رسول الله ﷺ : **أَىُّ العملِ أفضلُ ؟ قال : « إيمان بالله ورسوله » قيل : ثم ماذا ؟ قال : « الجهاد فى سبيل الله »** قيل : ثم ماذا ؟ قال : **« حجٌ مبرورٌ »** متفق عليه .

ـ وعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال : أتى رجلٌ رسولَ الله ﷺ فقال : أىُّ الناس أفضل ؟ قال : **« مؤمن يجاهد بنفسه وماله فى سبيل الله »** قال: ثم مَنْ ؟ قال : **« ثم مؤمنٌ فى شِعْبٍ من الشِّعاب يعبد الله ويَدَعُ الناسَ من شرِّه »** متفق عليه .

فلنكن ـ إن شاء الله تعالى ـ منهم على هذا الأساس الذى وقفنا عليه ، حتى نستحق بذلك ـ إن شاء الله ـ رحمة الله التى نرجوها .. والتى لا بد أن نحرص كل الحرص على الفوز بتنفيذ أهم أسبابها التى وقفنا عليها ..

والله ولى التوفيق .

***

---

(١) سورة الصف : الآيات (١٠ ـ ١٣) .

٦ ـ الراسخون فى العلم

وهم الذين تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى موضوع الآياتِ المُحكَمات ، والأُخَر المتشابهات .. فقال :

ـ ﴿ هُوَ الَّذِى أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ ﴾ أى : أن الله هو الذى أنزل عليك يا محمد القرآن ، فيه آيات واضحات بيناتٌ ، قد أُحْكِمْنَ بالبيانِ والتفصيل ، فى الوعد والوعيد ، والثواب والعقاب ، والحلال والحرام ، والعظة والعبَر ﴿ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ أى : هن أصل الكتاب الذى فيه عماد الدين ، من الفرائض والحدود ، والأحكام ، وسائر الأمور الضرورية ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ أى: وآيات أخر متشابهات فى التلاوة ، مختلفات فى المعانى(١) ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ أى : فأما الذين فى قلوبهم ميل عن الحق وانحراف عنه ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ﴾ أى : فيتبعون من آى الكتاب ما تشابهت ألفاظه ﴿ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ أى : إرادة اللَّبس وطلباً لتفسيره على أهوائهم الباطلة ، دون الحق الذى أبانه الله فأوضحه بالمحكمات من الآيات ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ أى : وما يعلم معنى المتشابه إلا الله وحده ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾ أى : والعلماء

---

(١) أرجح الأقوال فى معنى (المحكم والمتشابه) هو أن المحكم ما عرف العلماء تأويله ، وفهموا معناه وتفسيره ، والمتشابه ما لم يكن لأحد إلى علمه سبيل مما استأثر الله عز وجل بعلمه دون خلقه ..

المتمكِّنُون فى العلم ، يقولون : صدَّقنا بالمتشابه من الكتاب وإن لم نعلم تأويله .

ـ ﴿ كُلٌّ مِّنْ عند رَبِّنَا ﴾ أى : كل من المحكم والمتشابه منزَّل من عند الله ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَاب ﴾ أى : وما يتذكر ويتعظ إلا أصحاب العقول الذين يقولون: ﴿ رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ أى : يا ربنا لا تُملْ قلوبنا فتصرفها عن هُداكَ بعد إذْ هديتنا فوفقتنا للإيمان ﴿ وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ﴾ أى : وامنحنا من عندك رحمة ، وتوفيقاً وثباتاً على الحق ﴿ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ أى : إنك أنت المعطى عبادكَ التوفيقَ والسَّدادَ ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ ﴾ أى : ربنا إنك جامع الناس فى يوم القيامة الذى لا شك فيه ، فاغفر لنا فى ذلك اليوم وارحمنا ﴿ هُوَ الَّذِى أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾[1] أى : فإنك لا تُخلفُ وعدك ، لمن آمن بك واتبع رسولك .

---

(١) سورة آل عمران : الآيات ٧ ، ٨ ، ٩ ، والتفسير من مختصر الطبرى بتصرف .

فلنكن - إن شاء الله تعالى - من الراسخين فى العلم ... الذين هم أولو الألباب .

ولندْعُ - كذلك - بدعائهم .. عسى أن يتقبله الله منا كما تقبله منهم ، حتى نكون - إن شاء الله تعالى - من أهل الرحمة .. معهم وفى زمرتهم ..

والله ولى التوفيق .

***

٧ ـ الذين ستَبْيَضّ وجوهُهُم يومَ القيامة

وقد أشار الله تعالى إليهم مُتحدثًا عنهم وعن نهايتهم السعيدة ، فى ختام آيات بينات واضحات ، قال فيها :

ـ ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِه ﴾ أى : خافوا الله حق خوفه، وذلك بأن يطاع فلا يعصى ، ويُذكَرَ فلا يُنسَى ، ويُشكرَ فلا يُكفَر ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ أى : ولا تموتُنَّ إلا على الإسلام .

ـ ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ﴾ أى : وتمسكوا بدين الله الذى أمركم به ، وعَهْده الذى عَهِدَه إليكم ، منَ الأُلفَة والاجتماع على الحق ، ﴿ وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ أى : لا تتفرقوا عن دينه ، وعن الائتلاف والاجتماع على طاعته ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ أى : اذكروا فضل الله ونعمته عليكم ﴿ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ أى : حين كنتم أعداء فى جاهليتكم ، يقتل بعضكم بعضاً ، فألَّف الله بين قلوبكم بالإسلام ﴿ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ أى : فأصبحتم بالإسلام إخواناً مُتصادقين ، لا ضغائن ولا تحاسد ﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ أى : وكنتم ـ يا معشر المؤمنين ـ على طرف حفرة من النار ، فأنقذكم الله منها بالإيمان ، وهذا مَثَلٌ لكُفرهم الذى كانوا عليه قبلَ أن يَهديَهُم الله للإسلام ، يقول : كنتم على طرف جهنم بكفركم ، فأنقذكم الله منها بالإيمان الذى هداكم له

﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ أى : كما بين لكم ربكم الحال التى كنتم عليها فى الجاهلية ، كذلك يبين لكم سائر حججه ، لتهتدوا إلى سبيل الرشاد فلا تَضِلُّوا ﴿ وَلْتَكُن مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ﴾ أى : ولتكن منكم أيها المؤمنون جماعة يدعون الناس إلى الإسلام وشرائعه ﴿ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ أى : يأمرون بالإيمان بمحمد ودينه ، وَيَنْهَوْنَ عن الكفر بالله والتكذيب برسوله ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ أى : الفائزون فى جناته ونعيمه ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ أى : لا تكونوا كاليهود والنَّصارى الذين اختلَفُوا فى دين الله وأمره ونَهْيه ، من بعد ما عَلِمُوا الحقَّ ، وظهرت لهم حُجَجُ الله وآياتُهُ البيناتُ ﴿ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ أى : ولهؤلاء الذين تفرقوا واختلفوا عذابٌ عظيم عند الله ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ أى : لهم عذاب عظيم فى يوم تبيض فيه وجُوهُ المؤمنين ، وتسودُّ وُجُوهُ الكافرين ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ أى : فأما الكافرون فيقال لهم : أجحدتم توحيد الله بعد تصديقكم بأنه ربكم؟ ﴿ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ أى : فذوقوا عذابَ جهنم بسبب كفركم وجحودكم ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ ﴾ أى : وأما المؤمنون السُّعداء الذين ابيضَّتْ وجوهُهُم بثباتهم على الإيمان والتوحيد ﴿ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ

﴿فِيهَا خَالِدُونَ﴾[1] أى : فهم فى جنة الله ونعيمه ، باقون فيها أبداً .

فلنكن ـ إن شاء الله تعالى ـ من الحريصين على أن نكون من المؤمنين الصادقين المنفذين لتوصيات الله تعالى فى تلك الآيات القرآنية .. حتى نكون بتوفيق الله من هؤلاء السعداء الذين ستبيض وجوههم يوم القيامة .. وحتى نكون ـ بذلك ـ من أهل الرحمة ..

والله ولى التوفيق .

***

---

(١) آل عمران ، الآيات : ١٠٢ ـ ١٠٧ ، والتفسير من مختصر الطبرى .. بتصرف .

٨ ـ المُطيعون لله ورسوله والمُسارعون إلى مغفرته سبحانه وتعالى

وقد أشار الله تعالى إلى هذا ضمن آيات بينات واضحات ـ من سورة آل عمران ـ قال فيها : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٣٠) وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (١٣١) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٣٢) وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾[1].

ـ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً ﴾ أى : لا تتعاملوا بالربا كما كنتم فى جاهليتكم تأخذونه أضعافاً مضاعفةً .

---

(١) سورة آل عمران ، الآيات ١٣٠ ـ ١٣٦ ، والتفسير من المختصر بتصرف .

ـ فقد كانوا فى الجاهلية إذا حَلَّ أَجَلُ الدَّيْنِ قال المرابى للمستدين : إما أن تقضى ، وإما أن تُرْبِى ، فَإن قضاه وإلا زاده فى المدة ، وضاعف له القدر ، وهكذا كل عام حتى يصير القليل كثيراً مُضَاعَفًا .. ﴿ **وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ أى : خافوا الله ، لتنجحوا فتَنْجوا من عقابه ، وتدركوا ما رغَّبكم فيه من ثوابه ﴿ **وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِى أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ** ﴾ أى: خافوا نار جهنَّم التى أعدها الله لمن كفر به .

﴿ **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾ أى : وأطيعوا الله فيما نهاكم عنه من أكل الربا ، وأطيعوا الرسول أيضًا لتُرحَموا فلا تُعذَّبوا ﴿ **وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ** ﴾ أى : بادروا وسابقوا إلى ما يوجب لكم ستر ذنوبكم ، والعفو عنها برحمته تعالى ﴿ **وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ** ﴾ أى : وسارعوا إلى جنة عرضُها كعرض السموات السبع ، والأرضين السبع فى السَّعة والعِظَم ﴿ **أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ أى : أعدها الله للمطيعين ، الذين اتقوا الله بامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه ، ثم فَسَّر المتقين بقوله : ﴿ **الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ** ﴾ أى : الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ، فى حال الرخاء والسعة ، وفى حال الضيق والشدة ﴿ **وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ** ﴾ أى : والذين يكتمون غيظهم إذا ما أُغْضبوا ، ﴿ **وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ** ﴾ أى : والصَّافحين عَمَّنْ أساء إليهم ﴿ **وَاللَّهُ يُحِبُّ**

﴿ الْمُحْسِنِينَ ﴾ أى : يحب مَن كان مُحسنًا فى عمله ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ ﴾ أى : والذين إذا فعلوا قبيحًا ، أو ارتكبوا معصيةً ، ذكروا وعيد الله على ما أتَوْا من المعاصى .

﴿ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ﴾ أى : سألوا ربهم أن يستر عليهم ذنوبهم فلا يعاقبهم عليها ، ﴿ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ أى : وما يغفر الذنوبَ أحدٌ إلا الله ﴿ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ أى : ولم يُقيموا على ذنوبهم التى فعلوها ، ومعصيتهم التى ارتكبوها ، وهم يعلمون وعيد الله عليها ، ولكنهم تابوا واستغفروا ﴿ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ أى : ثوابهم على ما أطاعوا عفوٌ لهم من الله عن عقوبتهم ﴿ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ أى: ولهم بساتين تجرى خلال أشجارها أنهار الجنة ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ أى : مقيمين فيها أبدًا ﴿ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ أى : ونعم جزاء العاملين لله جنَّاتُ النعيم .

ففى تلك الآيات البينات الواضحات ، يحذرنا الله تبارك وتعالى من التعامل بالربا .. كما يأمرنا بتقوى الله .. واتقاء الأعمال التى تُوصِّل إلى النار كما يأمرنا بطاعة الله ورسوله .. والمسارعة إلى المغفرة .. حتى نفوز بسبب كل هذا ـ إن شاء الله ـ بدخول الجنة ، التى عرضها السموات والأرض ، والتى أُعدت للمتقين .. الذين نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم ـ قولاً وعملاً ـ حتى نكون ـ إن شاء الله تعالى ـ أهلاً لرحمة الله فى الدنيا والآخرة .. اللهم آمين .

***

٩ ـ الذين آمنوا بالله واعتصموا به سبحانه

وقد أشار الله تعالى إليهم في قوله :

ـ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ أى : قد جاءكم حجةٌ من الله ، وهو محمد ﷺ ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ أى : وأنزلنا إليكم القرآن العظيمَ الذي يُبيِّنُ لكم الحجَّةَ الواضحةَ ، والسُّبُل الهادية ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ ﴾ أى : فأما الذين صَدَّقوا الله ، وتمسكوا بالنور المبين الذى أنزله على نبيِّه ﷺ ﴿ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ ... ﴾ أى : فسوف يدخلهم فى جنته ، التى هى مكان رحمته ، وينالهم عطاؤه وفضله العظيم ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾[1] أى : ويوفقهم لسلوك دين الله ، الذى ارتضاه لعباده ، وهو الإسلام .

وفى هاتين الآيتين الكريمتين يشير الله تبارك وتعالى إلى أهمية الإيمان بالله تعالى والاعتصام به .. وذلك لأن الإيمان بالله هو الأساس الذى لا بد منه .. والذى لا بد أن يكون على أساس من الصدق فى الأقوال والأفعال .. وإلا فإن (البعيد) سيكون من المنافقين والعياذ بالله ..

---

(١) سورة النساء ، الآيتان ١٧٤ ، ١٧٥ ، والتفسير من المختصر .. بتصرف .

كما يشير إلى هذا رب العزة فى قوله : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ** ﴾[1] ، وكذلك بالنسبة للاعتصام بالله .. أى : التمسك بقرآنه سبحانه وتعالى .. بمعنى أن نُحَكِّمَ هذا القرآنَ فينا وفى جميع أقوالنا وأفعالنا .. حتى لا نَضِلَّ أو نَزِلَّ .

وكذلك الحكم بالنسبة للسنة المطهرة .. فهى المذكرة التفسيريَّةُ للقرآن الكريم .. فأنت مثلاً فى القرآن الكريم تقرأ قول الله تعالى : ﴿ **وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ** ﴾[2] ولكنك لن تجد آية فى القرآن تستطيع أن تتعلم منها كيف تصلى .. وإنما الذى علمك هذا هو الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه الذى يقول : « **صلُّوا كما رأيتمونى أُصلِّى** »[3] ، وأيضاً يقول الله تعالى فى قرآنه : ﴿ **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً** ﴾[4] .

وكذلك ليست هناك آية فى القرآن تعلمك كيف تؤدى المناسكَ .. وإنما الذى علمك هذا هو الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه الذى يقول : « **خذوا عنى مناسككم** » .. وهكذا بالنسبة لأهم أحكام وتشريعات هذا الدين الحنيف .

---

(١) سورة البقرة : الآيات ٨ ، ٩ ، ١٠ .
(٢) البقرة ، من الآية ٤٣ .
(٣) حديث صحيح رواه البخارى .
(٤) آل عمران ، من الآية ٩٧ .

فلابد ـ إذن ـ أن يكون هناك ارتباط وثيق بالقرآن والسنة ، وإلا كان هناك الضلال المبين ، والعياذ بالله ..

وحسبى أن أذكر الأخ المسلم بحديث العرباض بن سارية ـ رضى الله تعالى عنه ـ الذى يقول فيه : « **صلّى بنا رسولُ الله ﷺ ذاتَ يومٍ ، ثم أقبلَ علينا فوعظنا موعظةً بليغةً ذرفت منها العيونُ ، ووَجِلَتْ منها القلوبُ ، فقال قائل : يا رسول الله : كأن هذه موعظةُ مودِّعٍ ، فماذا تعهدُ إلينا ؟ فقال : أوصيكم بتقوى الله ، والسَّمْع والطاعة، وإن عبداً حَبَشِياً ، فإنه من يعشْ منكم بعدى فسيرى اختلافًا كثيراً ، فعليكم بسُنَّتى وسنّة الخلفاء الراشدينَ المهديّينَ ، تمسّكُوا بها وعضُّوا عليها بالنواجذِ ، وإياكم ومُحدثَاتِ الأمور ، فإن كُلّ محدثةٍ بدعةٌ ، وكلّ بدعةٍ ضلالةٌ** » أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم ، وصححه ، والبيهقى والترمذى ، وقال : حسن صحيح .

ـ أسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بهذا التذكير المهم .. حتى نكون ـ إن شاء الله تعالى ـ أهلاً لرحمته سبحانه وتعالى .. اللهم آمين .

***

١٠ ـ مَنْ يُصْرَف عنهم العذابُ يومَ القيامة

وقد أشار الله تعالى إلى هذا فى آية من سورة الأنعام[١] قال فيها : ﴿ مَن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ ﴾ أى : مَن يُصرف عنه العذابُ يوم القيامة فقد نال رحمة الله ﴿ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴾ أى : وذلك الفوز الحقيقى الذى ينبغى أن يفوز به كل مؤمن .. بل ومؤمنة .

وذلك لأن يوم القيامة هو اليوم الذى سيقوم الناس فيه من قبورهم لكى يُسَاقُوا إلى مكان الحساب .. حتى يُسأل كُلٌّ منهم عن عمله . و يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾[٢] .

ـ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة ، فقال : «يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله تعالى حُفَاةً عُراة غُرلاً[٣] » .

ـ ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾[٤] ، ألا وإن أول الخلائق يُكْسَى يوم القيامة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، ألا وإنه سيُجاءُ برجالٍ من أُمتى فيؤخذ بهم ذات الشمال ، فأقول : يا رب أصحابى ،

---

(١) الآية رقم ١٦ .
(٢) سورة الزلزلة : الآيات ٦ ، ٧ ، ٨ .
(٣) غُرْلاً : بضم فسكون ، أى : غير مختونين .
(٤) الأنبياء ، من الآية ١٠٤ .

فيقال : إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك ، فأقول كما قال العبد الصالح[1] :

﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[2] .

قال : فيقال لى : إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم . فأقول : سُحْقًا سُحقًا[3] » . أخرجه أحمد والشيخان والنسائى والترمذى .

ـ وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ قال : « يُحشَرُ الناسُ يوم القيامة ثلاثة أصناف : صِنفٌ مشاةٌ ، وصِنفٌ رُكْبَانٌ ، وصِنف على وجوههم ، قيل : يا رسول الله كيف يمشون على وجوههم؟ قال : إن الذى أمشاهم على أقدامهم قادر أن يُمشِيَهُم على وجُوههم . أما إنّهم يتّقُونَ بوجوههم كُلّ حَدَبٍ[4] وشوكٍ » .

أخرجه أحمد وأبو داود والترمذى .

ـ ويوم القيامة ، أوله من الموت (لحديث) هانئ مولى عثمان بن عفان ، قال : كان عثمان رضي الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يَبُلَّ لحيته ، فقيل له : تذكر

---

(١) وهو سيدنا عيسى عليه السلام . (والمراد) بالذين (أحدثوا) أصحاب الكبائر الذين ماتوا على التوحيد ، وأصحاب البدع الذين لم يكفروا ببدعتهم ، وقيل : المراد بهم المنافقون .

(٢) سورة المائدة ، من الآيتين ١١٧ ، ١١٨ .

(٣) أى : بُعدًا بُعدًا .

(٤) الحدب (بفتحتين) : ما ارتفع من الأرض .

الجنةَ والنارَ فلا تبكي ، وتذكر القبر فتبكي ؟ فقال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : «القبر أول منزل من منازل الآخرة ، فإن نجا منه ؛ فما بعده أيسر ، وإن لم ينج منه ؛ فما بعده أشد منه» . وقال : «ما رأيتُ منظراً قطُّ إلاَّ والقبر أفظع[1] منه» أخرجه الترمذي .

وقال : حسن غريب ، ورزين وزاد : قال هانئ : سمعت عثمان يُنشد :

فإن تَنْجُ منها تَنْجُ من ذِي عظيمةٍ وإلا فإني لا إخَالُكَ ناجِياً

وقيل : أوله من النشر ، أي : الخروج من القبر ، وآخره دخول أهل الجنةِ الجنةَ ، وأهلِ النارِ النارَ ، ولا يعلم وقت مجيئه إلا الله تعالى ، ليكون الإنسان منه على وجَلٍ . قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾[2] ، أي : لا يعلم وقت مجيء القيامة إلا الله تعالى .

وإذا كان هذا هو ما يتعلق بالقبر ، أو النشر ، فما بالك بيوم القيامة وما فيه من حشر ، وحساب ، وميزان ، وصراط ، وحوض ، وشفاعة ، ونار ، وجنة..

(ولهذا) فقد سمى الله تعالى القيامة بالقارعة .. لأنه ـ من المفروض ـ أن تقرع القلوب بأهوالها .. قال تعالى : ﴿ الْقَارِعَةُ ۝١ مَا الْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ

---

(١) أفظع : أى أشد وأشنع .

(٢) سورة لقمان ، من الآية ٣٤ .

﴿ الْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾[1] .

ـ وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « مَن نوقشَ الحسابَ عُذِّبَ . فقلتُ : أليس يقول الله : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴾[2] ؟ فقال : إنما ذلك العرضُ وليس أحدٌ يحاسَبُ يومَ القيامةِ إلا هلَكَ » .

أخرجه الشيخان والترمذى وأبو داود .

ـ ولهذا فقد قال الله تعالى : ﴿ مَن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ ﴾[3] .

نسأل الله السلامة .. نسأل الله السلامة .. نسأل الله السلامة .. اللهم آمين .

***

(١) سورة القارعة ، بأكملها .

(٢) سورة الانشقاق : الآيات : ٧ ـ ٩ .

(٣) سورة الأنعام : الآية ١٦ .

١١ ـ الذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا

وقد أشار الله تعالى إلى هذا فى آية من سورة الأنعام[١] ، قال فيها :

﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا ﴾ أى : وإذا جاءك القوم الذين يؤمنون بتنزيلنا وأدلتنا وحُججنا ، مسترشدين عن ذنوبهم التى سلفت منهم ﴿ فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ أى : فلا تؤيسهم وقل لهم : سلام عليكم من الله ، قضى ربكم الرحمة بخلقه ﴿ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ﴾ أى : أنَّ مَن اقترف منكم ذَنْبًا فجهل بسببه[٢] ﴿ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ ﴾ أى : ثم تاب من ذنبه ، وأصلح عمله ﴿ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ أى: فإن الله ساتر لذنبه إذا تاب وأناب ، رحيم بعباده ، لا يُعاقبهم بعد التوبة .

ـ وفى سورة النساء ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ

---

(١) سورة الأنعام ، الآية ٥٤ .

(٢) قال مجاهد : (بجهالة) أى : من جهل ، لا يعلم حلالاً من حرام ، ومن جهالته ركب الأمر .

﴿ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[1] أشار الله تعالى إلى هؤلاء الذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب .. فقال :

ـ ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ﴾ أى : إنما يتقبل الله التوبة ممن عصوا ربهم حال جهالتهم وهم به مؤمنون ﴿ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ ﴾ أى: تابوا سريعًا قبل نزول الموت بهم .

﴿ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ أى : يتقبل توبتهم ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ أى : عليمًا بالمنيبين من عباده ، حكيماً فى أفعاله وتدبيره ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ﴾ أى : وليست التوبة المقبولة عند الله للمصرِّين على معاصى الله ﴿ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ ﴾ أى : حتى إذا حَشْرج أحدهم بنفسه ، وعاين ملائكة ربه أقبلَتْ لقبض روحه ، تاب وأناب ، فليس لهذا عند الله توبة (لحديث) : « إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر » أى : ما لم يصبح فى سكرات الموت تبلغ الروح الحلقوم ، والحديث صحيح أخرجه الإمام أحمد .

﴿ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾ أى : وليست التوبة لمن ماتوا على الكفر ﴿ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ أى : أعددنا لهم عذاباً موجعًا .

ـ فعلى الأخ المسلم والأخت المسلمة أن يلاحظا كل هذا وينفذاه على هذا الأساس الذى وقفا عليه .. حتى يكونا من أهل الرحمة .

والله ولى التوفيق .

---

(١) سورة النساء : الآيتان ١٧ ، ١٨ .

١٢ ـ المتَّقُونَ الذينَ يتَّبِعونَ القرآنَ الكريم لَعلَّهُم يُرحَمونَ

وقد أشار الله تعالى إلى هذا فى سورة الأنعام فى آية كريمة[١] قال فيها :

ـ ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ ﴾ أي : وهذا القرآن الذى أنزلناه على نبينا محمد ﷺ كتاب مبارك ﴿ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ أى : فاجعلوه إماماً لكم ، واحذروا أن تُضَيعُوا العملَ به وتَسْتَحِلُّوا محارمه ، لكى تُرْحَموا ؛ فتنجوا من عذاب الله وأليم عقابه .

وقد أشار الله تبارك وتعالى أيضاً فى سورة الأنعام[٢] إلى بركات هذا القرآن ، فقال :

ـ ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ ﴾ أى : وهذا القرآن الذى أوحيناه إليك يا محمد ، كثير النفع والبركة ﴿ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ أى : صَدَّق ما قبله من كتب الله ﴿ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ أى : ولتنذر بهذا القرآن أهل مكة ، ومَن حولها من الكفار الجاحدين برسل الله ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ أى: والذين يُصدِّقون بالمعاد والثواب والعقاب ، يُصدقون هذا

---

(١) الآية ١٥٥ .

(٢) الآية رقم ٩٢ .

الكتـاب المنـزل عليك يا محمد ﴿ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ أى : ويحافظون على الصلوات الخمس المفروضة ، التى أمر الله بإقامتها .

ـ وهذا القرآن أيضاً ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ كما قال الله تعالى فى أول سورة البقرة :

ـ ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ ﴾ أى : الذى ذكرتُه وبينته لك يا محمد ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ أى : لا شَكَّ فى أنه من عند الله ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ أى : هدايةً للمتقين ، الذين اتقوا ربهم فأطاعوه فيما أمرهم به من فرائضه ، وتجنَّبوا ركوبَ ما نهاهم عنه من معاصيه ، وخَصَّ الهداية بالمتقين ، لأنه شفاء لما فى صدور المؤمنين ، وعَمًى لأبصار الجاحدين ، وحُجَّةٌ بالغةٌ لله على الكافرين ، فالمؤمن به مُهتد ، والكافر به مَحْجُوج .

ولهذا .. كان من الخير لنا ـ نحن المباركين ببركة هذا القرآن الكريم ـ أن ننفذ ما أمرنا الله تعالى به فى نص الآية التى ندور حولها ، وهو أن نتبع هذا القرآن .. بمعنى أن ننفذ أوامره ونجتنب نواهيه .. حتى يكون القرآن ـ إن شاء الله تعالى ـ حجةً لنا لا علينا ، وحتى يكون سبباً فى رحمة الله تعالى لنا .. والله ولى التوفيق .

***

١٣ ـ الذين يتَّبِعُونَ الرَّسُولَ صلى الله عليه وسلم

وقد أشار الله تعالى إلى هذا فى سورة الأعراف ، حيث يقول سبحانه وتعالى فى آيتين كريمتين :

﴿ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(١)

أى : اجعلنا ممن كتبتَ له فى الدنيا الصالحات من الأعمال ، وفى الآخرة المغفرة من الذنوب ، إنا تبنا إليك ﴿ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ أى : قال الله لموسى : عذابى أصيبُ به من أشاء من خلقى ، ورحمتى عَمَّتْ خلقى كلهم ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ

---

(١) الآيتان : ١٥٦ ، ١٥٧ .

الزَّكَاةَ ﴾ أى : فسأكتب رحمتى وأجعلها للذين يخافون الله ، ويجتنبون معاصيه ، ويُؤدُّون زكاةَ أموالهم لمستحقيها **﴿ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾** أى : والذين هم بآياتنا يُقرُّونَ ويُصدِّقون .. ثم بيَّن وفَصَّل هؤلاء ، فقال : **﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ ﴾** أى : الذين يتبعون الرسول محمداً ﷺ النبى الأُمِّىَّ ـ أى : الذى لا يقرأ ولا يكتب ،وذلك من أعظم دلائل نبوته ﷺ ، وليس معناه الجاهل الذى لم يتعلم ـ وهو المبشَّر به **﴿ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾** أى : الذى يجدون نَعْتَه وصفته مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل **﴿ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾** أى : يأمر هذا النبى أتباعه بالإيمان بالله وطاعته ، وينهاهم عن الشرك بالله والمعاصى **﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾** أى : ويُحل لهم الطيبات التى أحلها الله ، ويحرم عليهم الخبائث كَلَحْمِ الخنزير والخمر(١) **﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ ﴾** أى : ويضع عنهم العهد(٢) الذى كان أُخذ على بنى إسرائيل بالعمل بما فى التوراة من الأعمال الشديدة **﴿ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾** أى :

---

(١) المراد بالطيبات والخبائث : الحلال من المطاعم والمشارب والحرام منها ، وهذا مذهب مالك. وقال الشافعى : الطيبات المستلذات ، والخبائث المستقذرات كالخنافس والعقارب .

(٢) وقيل : الإصر : الأحكام الشاقة .

والتكاليف الشاقة التى كانت عليهم ثم نسخها القرآن ، كتحريم الغنائم ، وقتل النفس فى التوبة ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ ﴾ أى : فالذين صَدَّقُوا بالنبى الأمِّىِّ وأقرُّوا بِنُبُوَّته ﴿ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ ﴾ أى : ووقَّروه وعظَّموه ، ونصروا دينه بجهادهم معه ضد أعداء الله ﴿ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِى أُنزِلَ مَعَهُ ﴾ أى : واتبعوا القرآن الذى أنزله الله عليه ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ أى : أولئك هم الناجحون الظافرون بما طلبوا .

هذا .. وإذا كان شاهدنا فى هاتين الآيتين اللتين ندور حولهما ، هو الترغيب فى اتباع النبى الأُمِّىِّ صلوات الله وسلامه عليه ..

فإننى أرجو من الأخ المسلم والأخت المسلمة أن يكونا من أهل الاتباع ، لا من أهل الابتداع ، لأن الخير كُلَّه فى الاتباع ، والشَّرَّ كله فى الابتداع .

وقد أخرج الطبرانى فى الكبير ، عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبى ﷺ ، قال : « **اتبعوا ولا تبتدعوا ، فقد كفيتم** » ، وهذا معناه أن النبى ﷺ لم يُفارق الدنيا إلا بعد أن بلغ الرسالة ، وأدَّى الأمانةَ ، وهدى الأُمَّة ، وكشف الغُمَّة .. وإلا بعد أن أنزل الله تعالى قوله : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾[1] ولهذا فقد قال الأئمة الأعلام : من استحسن بدعة ، فقد زعم أن محمداً خان الرسالة .. جعلنى الله وإياكم من أهل الاتباع حتى نكون أهلاً لرحمة الله .. اللهم آمين .

---

(١) المائدة ، من الآية ٣ .

١٤ ـ الذين يستَمِعُونَ إلى القرآن في إنصات كامل

وقد أمر الله تعالى بهذا فى آية كريمة من سورة الأعراف[١] ، قال فيها :

ـ ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ أى : وإذا قرئ القرآن عليكم ـ أيها المؤمنون ـ فاصغوا لتلاوته ، لتفهموا آياته ، وتعتَبِروُا بمواعظه[٢] ﴿ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ أى : واسكتوا ولا تلغوا عند قراءته ، ليرحمكم ربكم بتأدُّبكُم بآدابه ..

ـ ثم بعد ذلك يشير الله تبارك وتعالى إلى فضيلة الإنصات فى تضرع وخيفة ، فيقول سبحانه فى آيتين ختم بهما سورة الأعراف[٣] :

ـ ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴾ أى : واذكر ربك ـ أيها السامع للقرآن ـ فى سرك ﴿ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ﴾ أى : تَخشُّعًا وتواضُعًا

---

(١) سورة الأعراف ، الآية ٢٠٤ .

(٢) وقد أمر الله المؤمنين بالإنصات والسكوت عند تلاوة القرآن ، إعظاماً واحتراماً ، ومخالفة للمشركين الذين قالوا : ﴿ لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ ﴾ . [فصلت : ٢٦] .

(٣) الآيتان : ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

لله ، وخوفاً من عقابه ﴿ وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ أى : وليكن دعاؤكَ باللسان فى سرٍّ وخفاء ، لا جهاراً ﴿ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ﴾ أى : فى أول النهار وآخره .

﴿ وَلا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴾ أى : ولا تكن من السَّاهِينَ اللَّاهين عن عِبَر القرآن وعظَاته .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ ﴾ أى : إن الملائكة الأبرار ﴿ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ ﴾ أى : لا يستكبرون عن التواضع والعبادة والخشوع لله سبحانه ﴿ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴾[1] أى : ويعظمونه سبحانه ، وله تعالى يُصلون، فعظموا ربكم بالعبادة كما تفعل الملائكة .

ـ وإذا كان لى أن أُذَكِّر الأخ القارئ بأدب الاستماع إلى القرآن الكريم .. فحسبى أن أذكره بأربع آيات من سورة الأحقاف تحدث الله تعالى فيها عن أدب الجن الصالح عندما استمع إلى الرسول ﷺ وهو يتلو فى صلاته ليلاً سورة الجن ـ وكان هذا بعد عودته من الطائف ـ فيقول تعالى :

ـ ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ[2] يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ ﴾ أى : واذكر

---

(١) على الأخ القارئ إذا كان متوضئاً أن يسجد بعد قراءته لهذه الآية الأخيرة سجدة التلاوة .. فهى سنة للقارئ والمستمع عند جمهور العلماء .. مع ملاحظة أن سجود التلاوة لا تشهد فيه ولا تسليم .. وإذا كنت غير متوضئ .. أو فى الطريق أو فى مكان لا تستطيع السجود فيه ، فاذكر الله .

(٢) وهؤلاء من جن (نصيبين) وافوا رسول الله ﷺ ببطن نخلة عند رجوعه من الطائف .. فاستمعوا لقراءته .. وفى الآية توبيخ للمشركين ، حيث إن الجن سمعوا القرآن فآمنوا ، وهؤلاء عنه معرضون !! (هامش المختصر) .

حين صرفنا إليك يا محمد طائفة من الجن ، يستمعون إلى تلاوتك للقرآن ﴿ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا ﴾ أى : فلما حضر ـ هؤلاء النفر من الجن ـ القرآن ، ورسول الله ﷺ يقرأ ، قال بعضهم لبعض : اسكتوا لكى نستمع إلى القرآن ﴿ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾ أى : فلما فرغ رسول الله ﷺ من تلاوة القرآن ، انصرفوا إلى قومهم يُنذرُونهم عذاب الله ﴿ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ ﴾[1] أى : سمعنا كتاباً مجيداً مُنَزَّلاً على رسول من بعد موسى ﴿ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ أى : يُصدق ما قبله من كتب الله التى أنزلها على رسله ﴿ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ أى : يُرشد إلى الصواب ورضا الله ، وإلى طريق لا اعوجاج فيه ـ وهو الإسلام ـ دين الله المستقيم ﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ ﴾ أى : يا قومنا أجيبوا محمداً ﷺ ، إلى ما يدعوكم إليه من طاعة الله ﴿ وَآمِنُوا بِهِ ﴾ أى : وصدقوه فيما جاءكم به من عند الله ﴿ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾ أى : يستر الله ذنوبكم ، ولا يفضحكم بها فى الآخرة ﴿ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ أى : ويُنقذكم من عذاب موجع ، إذا أنتم تبتم وأنَبْتُم من كُفركم ﴿ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ ﴾ أى : ومن لا يُجبْ محمداً رسول الله ﷺ ، فليس بمُعْجز ربه بهربه من عقوبته ، لأنه فى سلطانه حيث كان[2] ﴿ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ ﴾ أى: وليس له من دون ربه

---

(١) وقد قالوا : ﴿ أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ ﴾ ولم يقولوا أنزل من بعد عيسى ، لأنهم كانوا من أتباع سيدنا موسى . وقيل : لأن الإنجيل كان مُكملاً للتوراة .. والله أعلم .

(٢) هذا من باب الترهيب بعد الترغيب ، كما هو شأن القرآن فى قرن الوعد بالوعيد ، والترغيب بالترهيب ، (هامش المختصر) .

نُصراء ينصرونه من الله ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ (٣٠) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣١) وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾[١] أي : هؤلاء الذين لم يُجيبُوا داعِيَ الله ، فى جَوْرٍ عن قصد الطريق ، ظاهر لمن تأمله .

ـ فإذا كانَ الجن الصالح ـ كما قرأنا ـ قد استمع إلى القرآن بهذا الأدب الرفيع ، وبهذا الإنصات الكامل .. فإنه ينبغى علينا ـ نحن المؤمنين من بنى آدم، إن شاء الله ـ أن نكون أولى منهم .. لأننا أفضل منهم ، ولا سيما إذا كان رسول الله ﷺ قد رغبنا فى هذا ـ بالإضافة إلى النص القرآنى الذى ندور حوله ـ فقد ورد عن زيد بن أرقم أن النبى ﷺ قال : « إن الله ـ عز وجل ـ يحبُّ الصمتَ عند ثلاث : عند تلاوة القرآن ، وعند الزّحْف[٢] ، وعند الجنازة » أخرجه الطبرانى فى الكبير .

ـ فعلى الأخ المسلم والأخت المسلمة أن يلاحظا كل هذا وينفذاه .. حتى ينتفعا بتلاوة القرآن .. ويفهما المراد منه وحسبهما أنهما ـ بسبب هذا ، إن شاء الله ـ سيكونان من أهل الرحمة والمغفرة .. والله ولى التوفيق .

---

(١) سورة الأحقاف ، الآيات : ٢٩ ـ ٣٢ والتفسير من المختصر .

(٢) أى : فى ميدان القتال فى سبيل الله .

١٥ ـ الذين آمَنُوا وهَاجَرُوا وجَاهَدُوا فى سَبيلِ اللهِ بأمْوَالِهِمْ وأنفُسِهِمْ

ـ وقد تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم وعن جزائهم فى ثلاث آيات من سورة التوبة[١] .. قال فيها :

ـ ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ أى : الذين صدقوا بوحدانية الله ، وهجروا أوطانهم ، وجاهدوا المشركين بأموالهم وأنفسهم لإعزاز دين الله ، هؤلاء أرفع منزلة عند الله من المشركين بالله من سُقَاة الحجيج ، وعُمَّار المسجد الحرام .

﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ أى : وهؤلاء هم الفائزون بالجنة ، الناجون من النار ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ ﴾ أى : يُبشرهم ربهم برحمته لهم ، ورضوانه عليهم ﴿ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾ أى : وبساتين ناضرة لهم فيها نعيم ثابت دائم ، لا يزول ، ولايفنى ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ أى : ماكثين فى تلك الجنات إلى ما لا نهاية ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾

---

(١) سورة التوبة : الآيات : ٢٠ ـ ٢٢ .

أى : عنده فى الآخرة ثواب عظيم للمؤمنين ، على طاعتهم لربهم ، وأدائهم لصالح الأعمال .

وحسبُ هؤلاء المؤمنين الذين جاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أن الله تعالى قد اشترى منهم ﴿ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم ﴾ ، وكان الثمن هو الجنة فهو القائل سبحانه فى سورة التوبة[1] :

ـ ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١) التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أى : وعدهم الله وعداً حقّاً أن يُوَفِّىَ لهم به فى كتبه المنزلة : التوراة ، والإنجيل ، والقرآن ـ إذا هم وفَّوا عهدهم ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ﴾ أى : ومن أحسنُ وفاءً بما شَرَط من الله ؟[2] ﴿ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ : أى : وذلك هو الفوز الذى لا فوز أعظم منه .. ثم وضَّح الله تعالى أوصاف هؤلاء المؤمنين ، فقال : ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ ﴾ أى : التائبون من الذنوب ، العابدون

(١) سورة التوبة ، الآيتان : ١١١ ، ١١٢ .

(٢) لا أحد أوفى من الله .

لربهم ، الحامدون لله فى السراء والضراء ﴿ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ ﴾ أى : الصائمون[1] ، المصلون الراكعون فى صلاتهم ، والساجدون فيها ﴿ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أى : الذين يأمرون الناس باتباع الرُّشد والهُدى ، وينهونهم عن كل فعل أو قول قبيح نهى الله عباده عنه ، والمحافظون على فرائض الله المتمسكون بشريعته ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أى : وبشِّر المصدِّقين بوعد الله بجنات النعيم .

وحسبهم - كذلك - أنهم سيفوزون فى الجنة - إن شاء الله - برؤية الله تبارك وتعالى ، وهو أعظم رضوان .. قال تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[2] أى : وجوه المؤمنين يوم القيامة حسنة مضيئة ناظرة إلى ربها بلا جهة ولا كيفية[3] .

- وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه ، قال : نظر رسول الله ﷺ إلى القمر ليلة

---

(١) فسر الطبرى (السائح) بالصائم ، وهو قول ابن عباس ومجاهد . وقد روى عن عائشة رضي الله عنها : (سياحة هذه الأمة : الصيام) ، وذهب الإمام الفخر إلى أن المراد به : المسافر للغزو أو طلب العلم ، وهو قول عطاء ، وهذا قول أرجح ، لأن معنى السياحة السفر فى المدن والقفار للعظة والاعتبار ، ويؤيده ما رواه أبو داود فى سننه عن رسول الله ﷺ أنه قال : «سياحة أمتى الجهاد فى سبيل الله » والله أعلم (هامش للمختصر) صـ٣٤٢ ج١ .

(٢) سورة القيامة : الآيتان ٢٢ ، ٢٣ .

(٣) أما الكفار فإنهم ممنوعون عن رؤية الله تعالى .. قال تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ المطففين : ١٥ .

البدر ، فقال : « **إنكم سترون ربكم عَياناً كما ترون هذا القمر لا تُضَامُون**[1] **فى رؤيته ، فإن استطعتم أن لا تُغْلَبُوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ، ثم قرأ : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴾** »[2] أخرجه أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه .

ـ وعن صُهَيْب رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال : « إذا دخل أهلُ الجنة الجنةَ يقول الله تعالى : تُريدون شيئًا أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تُبيِّضْ وجُوهَنا ؟ ألم تُدخلْنَا الجنة ؟ ألم تُنَجِّنَا من النار ؟ قال : فيُكشَفُ الحجاب[3] ، فما أُعْطوا شَيئاً أحبَّ إليهم من النظر إلى ربهم.. ثم تلا : ﴿ **لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ**[4] ﴾[5] » أخرجه مسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه .

فعلى الأخ المسلم والأخت المسلمة أن يحرصا كل الحرص على أن يكونا من الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله .. حتى يفوزا بأعظم درجة فى الجنة إن شاء الله .. وحتى يكونا من المُبشَّرين برحمة من الله ورضوان .. بل وحتى يفوزا بأعظم فوز .. وهو رؤيتهم لله تبارك وتعالى . أسأل الله تعالى أن يجعلنا ـ نحن المؤمنين ، إن شاء الله ـ أهلاً لكل هذا ... والله ولى التوفيق .

---

(١) لا تُضامون ـ بضم أوله وتخفيف الميم ـ : أى لا ينالكم ضيم ولا ظلم فى رؤيته .

(٢) سورة ق ، من الآية ٣٩ .

(٣) (فيكشفُ الحجاب) أى : عن أهل الجنة ، لا عن الله ، فإنه تعالى لا يحجبه شىء .

(٤) ﴿ **لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا** ﴾ أى : لأنفسهم بالإيمان والعمل الصالح

و ﴿ **الْحُسْنَىٰ** ﴾ أى : الجنة ، و ﴿ **وَزِيَادَةٌ** ﴾ أى : نظر أهل الجنة إلى الله تعالى .

(٥) سورة يونس ، من الآية ٢٦ .

١٦ ـ الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله

وقد أشار الله تبارك وتعالى ـ إلى هذا ـ فى آيتين من سورة التوبة تحدث فيهما عن المؤمنين والمؤمنات .. وما أعده الله تعالى لهم فى جنات عدن .. بالإضافة إلى رضوان من الله أكبر .. فقال :

ـ ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١) وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[1] أى : بعضهم أنصارُ بعضٍ وأعوانُهم ... ﴿ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ أى : يأمرون الناسَ بالإيمان بالله ورسوله ، وبما جاء من عند الله ، وينهونهم عن الكفر بالله ورسوله ﴿ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ أى :

---

(١) سورة التوبة ، الآيتان : ٧١ ، ٧٢ .

ويؤدُّون الصلاةَ المفروضَة على الوجه الأكْمَلِ ويُعطون الزكاةَ لُمستَحقِّيها ﴿ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ أى : فى كل أمر ونهى ﴿ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ﴾ أى : هؤلاء سيرحمهم الله ، فينقذهم من عذابه ويدخلهم جنته ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ أى : عزيز فى انتقامه ممن عصاه ، حكيم فى جميع أفعاله ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾ أى : وعد الله هؤلاء المؤمنين من الرجال والنساء ، بساتين تجرى من تحت أشجارها أنهار الجنة ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ أى : مُقيمين فيها أبدًا ، ولا يزول عنهم نَعيمها ﴿ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ﴾[1] أى : ومنازل يسكنونها طيبةً ، فى جنات خُلد وإقامة ﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ أى : أن رضا الله عنهم أكبرُ من ذلك كلِّه ﴿ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ أى : هذا هو الظفر العظيم الذى لا شىء أعظم منه .

فعلى الأخ المسلم والأخت المسلمة .. أن يحرصا كل الحرص على أن يكونا من المؤمنين والمؤمنات المتخلقين بكل تلك الأعمال الجليلة التى ذكرها الله تعالى فى الآيتين .. ثم قال بعدها : ﴿ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ﴾.

---

(١) سُمِّيت ﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ ﴾ لأنها جنات الخلد والإقامة ، مَن دخلها لم يخرج منها ، يقال : عدن فلان بأرض كذا ، إذا أقام بها . وقال أبو الدرداء : هى دار الله التى لم ترها عين ، ولا يسكنها إلا النبيون والصديقون والشهداء .. وقال الحسن : هى قصور من اللؤلؤ والياقوت الأحمر (هامش المختصر) .

ـ (وذلك) حتى يفوزا بدخول الجنة التى هى دار الثواب ، والنعيم المقيم ، وفيها الحورُ العين ، والولدان ، ولحم الطير ، والفواكه ، والأنهار الجارية من الماء ، واللبن ، والعسل ، والخمر[1] ، والسُّرُر ، والحرير ، والذهب، وما لا عين رأتْ ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً** [2] **خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً**[3] ﴾[4] ، وقال تعالى: ﴿ **وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾[5] .

أسأل الله تعالى أن يجعلنا أهلاً لهذا النعيم المقيم .. اللهم آمين .

***

(١) أى : الذى ليس مسكراً ، وإنما هو لذة للشاربين .

(٢) الفردوس : وسط الجنة وأعلاها ، (والنزل) : المنزل ، أو ما يُهيَّأ للضيف .

(٣) ﴿ **لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً** ﴾ أى : لا يطلبون عنها تحولاً وانتقالاً إلى غيرها .

(٤) الكهف ، الآيتان : ١٠٧ ، ١٠٨ .

(٥) الشعراء : الآية ٩٠ .

١٧ ـ المؤمنون .. الذين هُمْ فى صَلاتهم خاشعون

وقد أشار الله تبارك وتعالى إليهم مذكِّرًا إيانا بصفاتهم ، وأهم أعمالهم التى بها سيرثون الفردوس ، وهو جنة أعلى الجنان ... فقال تعالى فى آيات بينات واضحات متتاليات من أول سورة المؤمنون[١] :

ـ ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ① الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ② وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ③ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ④ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ⑤ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ⑥ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ⑦ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ⑧ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ⑨ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ⑩ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

أى : قد فاز المؤمنون .. فظفروا بمقصودهم ، ونجوا من كل مكروه .. و (المؤمنون) جمع مؤمن ، وهو المصدق بالله ، ورُسُله ، وكُتُبه ، وملائكته ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره ، حُلوه ومرِّه .. ثم تحدث الله سبحانه وتعالى عن صفاتهم فقال : ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ أى :

---

(١) الآيات (١ ـ ١١) . والتفسير من حاشية الصاوى على الجلالين .. بالإضافة إلى مختصر تفسير الطبرى .. بتصرف وإضافات .

ظاهراً وباطناً .. فالخشوع الظاهرى : التمسك بآداب الصلاة كعدم الالتفات والعبث ، وعدم سبق الإمام ، وعدم وضع اليد على الخاصرة ، وغير ذلك .. والخشوع الباطني : استحضار عظمة الله وعدم التفكر بأمرٍ دنيوىّ ..

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ أى : معرضون عن كل ما لا يعود على الشخص منه فائدة فى الدين أو الدنيا ، سواء أكان قولاً ، أَم فعلاً ، مكروهاً ، أَم مباحاً ، كالهزل وضياع الأوقات فيما لا يعنى ، والتَّغَوُّل فى الشهوات ، وغير ذلك مما نهى الله عنه ..

وبالجملة .. فإنه ينبغى على الإنسان العاقل أن يُرى ساعياً فى حسنة لمعاده ، أو درهم لمعاشه . ومن حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴾ أى مُؤَدُّون .. مع ملاحظة : أن الزكاة تُطلق على القدر المُخْرَج كربع العُشْرِ من النَّقْدَيْن[١] ، والعُشرِ أو نصْفُه من الحَرثِ ، والشَّاةِ من الأربعين شاة ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾ أى : مانعُون من الحرام ، أى : عن كُل ما لا يحل وطؤه بوجه من الوجوه ﴿ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ ﴾ أى : من زوجاتهم[٢] ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ﴾ أى : إمائهم بملك اليمين ﴿ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ أى : فى إتيانهن ﴿ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ ﴾ أى : من الزوجات والسَّرارِى .. كالاستمناء باليد .. ونكاح البهائم ـ والعياذ بالله ـ وكل هذا ـ بالإضافة إلى نكاح غير الزوجات ـ حرام ، بل وألف حرام ..

---

(١) أى : الذهب والفضة .

(٢) هذا التفسير يشير إلى أن (على) هنا بمعنى : من .

﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ أى : المتجاوزون إلى ما لا يحل لهم ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ ﴾ جمعاً ومفرداً ﴿ وَعَهْدِهِمْ ﴾ أى : فيما بينهم ، أو فيما بينهم وبين الله من صلاة وغيرها ﴿ رَاعُونَ ﴾ أى : حافظون .. أو غير مضيعين لها .. ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ ﴾ جمعاً ومفرداً ﴿ يُحَافِظُونَ ﴾ أى : يقيمونها فى أوقاتها بشروطها وأركانها وآدابها .. ولكون الصلاة عماد الدين وأعظم أركانه[1] .. ابتدأ بها أوصاف المؤمنين[2] ، وختمها بها .. ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴾ أى : هؤلاء الذين هذه صفاتهم يرثون يوم القيامة منازل أهل الجنة[3] ﴿ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ ﴾ أى : يرثون البُستان أعلى الجنان ﴿ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ أى : ماكثون فيها أبداً ، لا يتحولون عنها .. ولهذا فقد عَبَّر بالإرْثِ ـ دون الاستحقاق ـ لأن الإرث مِلْكٌ دائم .

---

(١) أى : بعد الشهادتين .

(٢) وذلك بقوله تعالى فى الوصف الأول : ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ ، وفى الوصف الأخير قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ ، فَالحَظْ هذا أخا الإسلام ..

(٣) فقد ورد فى الخبر ـ كما جاء فى القرطبى ـ عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : « إن الله تعالى جعل لكل إنسان مسكناً فى الجنة ومسكناً فى النار ، فأما المؤمنون فيأخذون منازلهم ويرثون منازل الكفار ويُجعل الكفار فى منازلهم فى النار » خرجه ابن ماجه بمعناه. وفى حديث مسلم : « فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة » أى : أن الفردوس فى وسط الجنان فى العرض ، وهو أعلى الجنة فى الارتفاع .. (راجع القرطبى حول تفسير هذه الآيات) .

ـ فعلى الأخ المسلم والأخت المسلمة .. أن يحرصا كل الحرص على أن يكونا من المؤمنين والمؤمنات المتخلقين والمتخلقات .. بكل تلك الصفات العظيمة .. التى هى صفات المؤمنين الصادقين .. حتى يكونا ـ إن شاء الله تعالى ـ من الذين سيرثون الفردوس .. مع الملاحظة ـ بصفة خاصة ـ على الخشوع فى الصلاة والمحافظة عليها ... فضلاً عن بقية الصفات .. والله ولى التوفيق .

***

١٨ ـ الرجالُ الحقيقيون الذين لا تلهيهِمْ تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذِكرِ الله وإقامِ الصلاة وإيتاء الزكاة

وقد تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى ثلاث آيات بينات متتاليات .. من سورة النور[١] .. فقال :

ـ ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ (٣٧) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ أى : فى مساجدَ أمر الله أن تُبنى، وأذن لعباده أن يذكروا اسمه فيها ـ بأى ذكر كان ـ ولا سيما بتلاوة القرآن الذى هو أفضل الأذكار .. على أن يكون الذكر هذا سراً[٢] ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ﴾ أى : يُصلِّى له فى هذه البيوت بالصباح والمساء ـ وقد فسر التسبيح بالصلاة لاشتمالها عليه ، واختلف فى المراد بالصلاة ، فقيل : المراد صلاة الصبح فى الغدو وباقى

---

(١) الآيات : ٣٦ ـ ٣٨ والتفسير من حاشية الصاوى على الجلالين .. مع الاستعانة بمختصر تفسير الطبرى .. بتصرف وإضافات كثيرة ..

(٢) أى : حتى لا يشوش على المصلين .. اللهم إلا إذا كان فى درس علم ـ لأنه لا يجوز رفع الصوت فى المسجد إلا للمتفقهة ـ كما جاء فى كتاب (الإبداع فى مضار الابتداع) للشيخ على محفوظ عليه رحمة الله .. بل وفى جميع كتب السنة .

الخمس فى الآصال .. وقيل : المراد صلاة الصبح والعصر لما قيل إنهما الصلاة الوسطى[1] ـ ﴿ رِجَالٌ ﴾ وقد خص الرجال بالذكر لأن شأنهم حضور المساجد للجمعة والجماعة ـ (أما المرأة) فإنها ليست مطالبة بهذا .. وصلاتها فى بيتها أفضل .. (اللهم) إلا إذا أذن زوجها لها أو ولىٌّ أمرها .. وكان هناك مكان مُهَيَّأ لها .. فإنه لا مَانع شرعاً من حضورها الجماعات .. وقد ورد فى الحديث : « لا تمنعوا إماء الله مساجد الله »[2] ثم بعد ذلك يتحدث عن صفات هؤلاء ، فيقول : ﴿ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ ﴾ أى : شراء[3] ﴿ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ أى : عن حقوق الله ، صلاة أو غيرها[4] ﴿ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ﴾ أى : أدائها فى أوقاتها بشروطها وأركانها وآدابها ﴿ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ﴾ أى : ولا يُشغلهم ـ كذلك ـ شاغل عن دفع ما فرض عليهم فى أموالهم لمن يستحقه ﴿ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ ﴾ أى : تضطرب ﴿ فِيهِ الْقُلُوبُ

---

(١) وهى التى أمر الله تعالى بالمحافظة عليها بصفة خاصة ، فقال تعالى : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ الآية رقم ٢٣٨ من سورة البقرة .

ـ وأشهر الأقوال أنها صلاة الصبح ، أو العصر .. وقد ورد فى هذا عن زهيرة عمارة بن روينة ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لن يلج النارَ أحد صلى قبل طلوع الشمس ، وقبل غروبها » يعنى الفجر والعصر . رواه مسلم .

(٢) والحديث رواه أبو داود ، بإضافة : (وليخرجن تفلات) أى : غير متعطرات .

(٣) وقد خص التجارة بالشراء ، وإن كان لفظ التجارة يقع على البيع أيضاً لذكره البيع بعده ..

(٤) وقوله تعالى : ﴿ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ﴾ ـ بعد ذلك ـ من ذكر الخاص بعد العام اعتناءً بشأنهما ، فإن المحافظ عليهما كامل الإيمان .

﴿ وَالأَبْصَارُ ﴾ أى : من الخوف ، والقلوب بين النجاة والهلاك ، والأبصار بين اليمين والشمال .. وهذا اليوم هو يوم القيامة .. ومعنى تقلب القلوب ، أى : ارتفاعها إلى الحناجر فلا تنزل ولا تخرج من شدة الهول .. وقيل : راجع لتقليب القلوب ﴿ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا ﴾ أى : ثوابه .. وأحسن : بمعنى حسن . وهذا على سبيل الاحتراز عن المجازاة على القبيح .. فالمعنى أنهم يجازون على كل عمل حسن ، ولا يجازون على ما سبق من العمل القبيح . ﴿ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ﴾ أى : فلا يقتصر فى إعطائهم على جزاء أعمالهم ، بل يُعْطَون أشياء لم تخطر لهم على بال .

﴿ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ : أى : أنهُ تعالى سيُعطيهم فوق أجور أعمالهم من الخيرات ما لا يَفِى به الحساب .. وهذا وَعْدٌ كريم من الله تبارك وتعالى .. وهو كنايةٌ عن كون الله تبارك وتعالى يُعطيهم ما لا عين رأت، ولا أذُن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ـ بغير نهاية ـ فوق ما وعدهم به .. تفضُّلاً منه ورحمة .

فعلى الأخ المسلم ـ بصفة خاصَّة ـ أن يلاحظ كُلَّ هذا وينفذه بإتقان مؤكد بالإيمان الصادق .. حتى يفوز بكل هذا الخير الذى ينبغى عليه أن لا يُحرَم منه ...

وعلى الأخت المسلمة أن تتنافس معه فى هذا الخير .. حتى تفوز مثله بهذا الثواب العظيم الذى لا حُدود له .. مع ملاحظة : أن الله تعالى لم يُفرِّق

بين الذكر والأنثى فى نتائج الأعمال الصالحة[1] . قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ أى: فى الدنيا ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[2] أى : فى الآخرة .

والله ولى التوفيق .

***

(١) بل والطالحة ، والعياذ بالله .

(٢) النحل ، الآية ٩٧ .

١٩ ـ الذين آمنوا وعملوا الصالحات .. ووعدهم سبحانه بأنه سيستخلفهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم .. وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم

وقد أشار الله تعالى إلى هذا فى آيتين من سورة النور ، فقال :

ـ ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥) وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[1] أى : وعد الله المؤمنين بالله ورسوله ، المطيعين لأمره ونهيه ، ليُورثَنَّهم أرض المشركين فيجعلهم ملوكها ﴿ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ أى : كما فعل من قبلهم ببنى إسرائيل ﴿ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ ﴾ أى : وليوطئن لهم ملَّتهم التى ارتضاها لهم ﴿ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ أى : وليُغَيِّرنَّ حالهم من الخوف الذى هم فيه إلى الأمن .

﴿ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ أى : يخضعون لى بالطاعة ، ويتذللون لأمرى ، ولا يشركون فى عبادتهم شيئاً غيرى ﴿ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ

---

(١) الآيتان ٥٥ ، ٥٦ من سورة النور ـ والتفسير بعد هذا من مختصر تفسير الطبرى .

﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ أى : ومن كفر بهذه النعمة ، فأولئك هم الخارجون عن أمر ربهم[1] .

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ ﴾ أى : بحدودها فلا تُضيِّعُوها ﴿ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ أى التى فرضها الله عليكم ﴿ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ أى : وأطيعوا رسول ربكم ، فيما أمركم ونهاكم : ﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ أى : كى يرحمكم ربكم ، فينجيكم من عذابه .. مع ملاحظة أن التَّرجِّى فى القرآن بمنزلة التحقيق .

ـ وقبل أن أعلق على هاتين الآيتين .. فإننى أحبُّ أولاً أن أُذَكِّر الأخ الذى مَنَّ الله عليه بنعمة التمكين فى الأرض .. مع غيره من جميع المؤمنين والمؤمنات بأربع آيات من سورة الحج[2] .. يقول فيها سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ (٣٨) أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِى الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ

---

(١) وأول من كفروا به قتلة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فصاروا يقتتلون بعد أن كانوا إخواناً (تفسير الجلالين) .

(٢) الآيات : ٣٨ ـ ٤١ .

﴿ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾ أى : أن الله لا يحب الذى يخون ربه فيخالف أمره ونهيه ، الجَحُود لنعمه عنده ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ﴾ أى : أذن الله للمؤمنين بقتال المشركين فى سبيله ، بسبب أن المشركين ظلموهم بقتالهم ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ أى : وإن الله على نصر المؤمنين لقدير .. ﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ أى : الذين أخرجهم كفار قريش من ديارهم بمكة بغير حق ﴿ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾ أى : لم يخرجوهم إلا لقولهم : ربنا الله وحده لا شريك له ﴿ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾ أى : ولولا دفع الله المشركين بالمسلمين ، وكفِّه ببعضهم التَّظالم ﴿ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ ﴾ أى : لتظالموا ؛ فهدم القاهرون صوامع الرهبان ، وكنائس النصارى ، ومعابد اليهود ﴿ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً ﴾ أى : ومساجد المسلمين التى يُذكر فيها اسم الله كثيراً ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ﴾ أى : وليعين الله من يقاتل فى سبيله ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ أى : قوى على نصر أهل ولايته ، منيع فى سلطانه لا يقهره قاهر ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ ﴾ وهم أصحاب محمد ﷺ الذين إن نصرناهم على أعدائهم ، فقهروا المشركين أطاعوا الله بإقامة الصلاة بحدودها ﴿ وَآتَوُا الزَّكَاةَ ﴾ أى : أعطوا زكاة أموالهم لمستحقيها ﴿ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ أى : ودعوا الناس إلى توحيد الله والعمل بطاعته ، ونهوا عن الشرك بالله ، والعمل بمعصيته ، الذى ينكره أهل

الحق والإيمان ﴿ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾ أى : ولله مصير أمور الخلق ، فى الثواب والعقَاب .

هذا .. وإذا كان لى أن أعلق بعد ذلك على الآيات الأولى والأخيرة .. فإننى أنصحُ نفسى ـ كما أنصح جميع المسلمين والمسلمات ـ بضرورة أن ننفذ المراد فى كل تلك الآيات البينات الواضحات .. حتى نؤكد إيماننا بالله ورسوله .. ونؤكِّد انتماءنا الحقيقى والإيجابى ... إلى هذا الدين القَيِّم .. الذى لا بد وأن نعمل بكل قوة مالية وجسدية على أن نكون من المناصرين له ، والمدافعين عنه ، حتى ينصرنا الله تعالى على جميع أعدائنا ، الذين يحرصون دائمًا وأبداً على غزونا والاستيلاء على خيراتنا ..

والله تعالى يقول : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾[1] كما يقول ، وقوله الحق :

﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾[2] أى : إن تنصروا دين الله وسنة رسوله ينصركم ويثبت أقدامكم .. والله المستعان على تحقيق هذا .. وهو سبحانه وتعالى ولى التوفيق .

***

(١) سورة الأنفال ، من الآية ٦٠ .

(٢) سورة محمد ، من الآية ٧ .

٢٠ـ وعبادُ الرّحمن الذين يمشُون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلونَ قالوا سلاماً والذين يَبيتون لربِّهم سُجّداً وقياماً

وقد تحدث الله سبحانه وتعالى عن عباده الـذين يستحقون رحمته ـ ولهذا سمـاهم بعباد الرحمن ـ فى أربع عـشرة آية [١] من سورة الفرقان ، ذكـر فيها أخلاق المؤمنين الكاملين إيماناً بأوصاف ثمانية .. فقال تعالى :

ـ ﴿ وعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا

---

(١) من الآية ٦٣ ـ ٧٦ . والتفسير من حاشية الصاوى على الجلالين .. مع الاستعانة بالمختصر بتصرف وإضافات كثيرة .

رَّحِيمًا (٧٠) وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (٧١) وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (٧٢) وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (٧٣) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤) أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا (٧٥) خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾.

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ ﴾ وإضافتهم إليه تعالى للتشريف، وإلا فكل المخلوقات عباد الله، أو يقال: إضافتهم إليه سبحانه، من حيث كونه هو الرحمن، ولكونهم مظهر الرحمة، وستختَصُّ بهم فى الآخرة ﴿ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ أى: بسكينة وتواضع ووقار.

﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ ﴾ أى: بما يكرهونه ﴿ قَالُوا سَلَامًا ﴾ أى: قولاً يسلمون فيه من الإثم[1] ـ مع القدرة على الانتقام ـ فالمراد الإغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم فى الكلام، وهذا الخلق من أعظم الأخلاق، لما فى حديث: «كاد الحليم أن يكون نبياً». وفى الحديث: «يبلغ الحليم بحلمه ما لا يبلغه الصائم القائم» والآثار فى ذلك كثيرة، ﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا ﴾ جمع ساجد ﴿ وَقِيَامًا ﴾ بمعنى قائمين، أى:

(١) أو يسلمون به من شرهم.

يصلون بالليل . وهذا الوصف : شروع فى ذكر معاملتهم للخالق سبحانه إثر معاملتهم للخلق ، وخصَّ البيات بالذكر ، لأن العبادة بالليل أبعد عن الرياء . وفى الحديث : « لا زال جبريل يوصينى بقيام الليل حتى علمتُ أن خيار أُمتي لا ينامون » .

﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ أى: فى علمه تعالى .. ولازماً لزوماً كُلِّيًا فى حق الكُفَّار ، ولزوماً بعد خُرُوج فى حَقِّ عصاة المؤمنين ﴿ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ أى : ساءت جهنم منزلاً وإقامة ، وقيل : مستقراً لعصاة المؤمنين ، ومقاماً للكافرين .

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا ﴾ أى : إذا أنفقوا على عيالهم لم يُسرفوا ولم يُضيِّقوا - مع إيسارهم - ﴿ وَكَانَ ﴾ إنفاقهم ﴿ بَيْنَ ذَلِكَ ﴾ الإسراف والتقتير ، ﴿ قَوَامًا ﴾ أى : وسطًا ، وهو بمعنى قول الله تعالى فى سورة الإسراء : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ... (٢٩) ﴾ ، ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ أى : التى حرم الله قتلها إلا بالحق الذى هو واحد من الثلاثة التى بها تكون النفس مستحقة للقتل ، ففى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى ومسلم يقول صلوات الله وسلامه عليه : « لا يحل دم امرئ إلا بإحدى ثلاث : الثَّيِّبُ الزانى(١) ، والنفس بالنفس(٢) ، والتاركُ

---

(١) أى : من تزوج ووطئ فى نكاح صحيح ، ثم زنى بعد ذلك ، فإنه يُرْجَم .

(٢) بشرط المكافأة ، فلا يقتل المسلم بالكافر ، ولا الحر بالعبد عند الشافعية لا الحنفية =

لدينه المفارق للجماعة(١) » ، ﴿ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ أى : ومن يفعل واحداً من الثلاثة يلق عقوبة ﴿ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ ﴾ وفى قراءة : يُضَعَّف ـ بالتشديد ـ ﴿ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴾ أى : يُعاقَبُ على الشرك والمعاصى ويبقى فى العذاب إلى ما لا نهاية ، مع الهوان والذلة ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ ﴾ أى: إلا مَن رجع إلى طاعة الله ، وصدّق بما جاء به محمد رسول الله ﷺ .

﴿ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا ﴾ أى : وعَمل بما أمره الله ، وانتهى عما نهاه عنه ﴿ فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾ أى : فهؤلاء يُبدّل الله أعمالهم السيئة حسنات فى الإسلام ، فيبدلهم بالشِّرك إيماناً ، وبالزنى عفَّةً وإحصاناً . وهذا التبديل إنما يكون فى الدنيا ، يُبدل الله أعمالهم السيئة إلى أعمال حسنة ، وهذا مَا رَجَّحه الطبرى ، وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد ، وقيل : التبديل فى الآخرة يمحو الله ذنوبهم فيجعلها حسنات ، وفى القرطبى : ولا يبعد فى كلام الله تعالى إذا صحت توبة العبد أن يضع مكان كل سيئة حسنة ـ ﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ أى : يعفو عن الذنوب ، ويرحم العباد بعد توبتهم ﴿ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴾ أى : ومن تاب عن المعاصى بتركها والندم عليها .. ثم أكَّد التوبة هذه بفعل الطاعات ، ولو بالنية ، كمن فَجَأَهُ الموت عقب التوبة ، فإنه يرجع إلى جزاء الله فى الآخرة الجزاء الحسن ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ﴾ أى : لا يحضرونه ،

= (شرح الأربعين النووية) .

(١) وهو المرتد ، والعياذ بالله .

أو لا يشهدون به . قال أبو جعفر ـ رحمه الله تعالى ـ : « وأصْل الزُّور : تحسين الشيء ووصفه بخلاف صفته ، حتى يُخيل إلى من يسمعه أنه خلاف ما هو به ، والشرك قد يدخل فى ذلك لأنه مُحسَّنٌ لأهله وهو باطل ، ويدخل فيه « الغناء» لأنه ـ أيضاً ـ مما يُحسِّنه ترجيع الصوت حتى يَستَحْلِىَ سامعه سماعه « والكذب » أيضاً قد يدخل فيه لتحسين صاحبه إياه ، حتى يظن أنه حق ، فكل ذلك مما يدخل فى معنى (الزور) .

﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً ﴾ أى : والذين إذا مَرّوا بالباطل فسمعوه ، مروا معرضين عنه .

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ أى : والذين إذا ذَكَّرهم مُذَكِّر بحُجَج الله ، لم يكونوا صُمّاً لا يسمعون ، وعُميانًا لا يُبصرون ، ولكنهم أيقاظ القلوب يفهمون ويعون ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ أى : والذين يرغبون إلى الله فى دعائهم ، فيقولون : ربنا هَبْ لنا من أزواجنا وذُرِّيَّاتنا ما تقر به أعيُنُنا بعملون بطاعتك ﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ أى : واجعلنا للذين يتقون معاصيك ، ويخافون عقابك ، إماماً يأتمون بنا فى الخيرات ﴿ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ[1] بِمَا صَبَرُوا ﴾ أى : هؤلاء يثابون على أفعالهم التى فعلوها فى الدنيا ، منزلة من منازل الجنة رفيعة ، بصَبْرهم على هذه الأفعال ، ومُقاساة شدَّتها ، ﴿ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴾ أى : وتَتلقَّاهُمْ ملائكة الرحمن فيها بالتحيَّة

(١) أى : الدرجة العُليا فى الجنة ، وهى أعلى منازل الجنة وأفضلها .. و(الغُرفة) اسم جنس ، أريد به الجمع .

والسَّلام ، ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ أى : ماكثين فى الغرفة إلى غير أَمَد ﴿ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ أى : حسُنَتْ تلك الغُرفة قَراراً لهم ، ومكان إقامة .

ـ فعلى الأخ المسلم والأخت المسلمة .. أنْ يعملا ـ وبكل صدق وإخلاص ومجاهدة ـ على أن يكونا من المتخلقين بتلك الصفات الثمان .. التى هى ـ كما عرفنا ـ صفاتُ عباد الرحمن الذين يستحقون رحمته سبحانه وتعالى .. وحسبهما أنهما ـ إن فعلا هذا ـ سيفوزان بالغُرفة ، التى هى أعلى منازل الجنة .. وأنهما بذلك سيكونان من الموفقين فى طاعة الله تبارك وتعالى...

فالله نسأل أن يجعلنا جميعاً من عباده الذين يستحقون رحمته .. اللهم آمين .

والله ولى التوفيق .

***

٢١ ـ الذين تابوا واتبعوا سبيل الله والذين فازوا باستغفار الملائكة لهم

وقد أشار الله تعالى إلى هذا فى ثلاث آيات ـ من سورة غافر ـ تحدث الله سبحانه وتعالى فيها عن الذين سيرحمهم الله تعالى بسبب استغفار الملائكة لهم .. فقال :

ـ ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ ﴾[1] أى : أن الملائكة الذين يحملون عرش الله ، ومَن حول عرشه ممن يَحُفُّ به ﴿ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ أى : يُصلون لربهم ، بحمده وشكره ﴿ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ أى : ويُقرُّون بالله أنه لا إله لهم سواه ﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أى : ويسألون ربهم أن يغفر للذين أقرُّوا بتوحيد الله ذنوبهم ، فيعفو عنهم ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ أى : يقولون : يا ربنا

---

(١) سورة غافر ، الآيات : ٧ ـ ٩ .

وسعَت رحمتُك وعلمك كل شيء من خلقك ، فلم يخف عليك شيء ﴿ فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا ﴾ أي: فاصفح عن جُرْم مَن تابَ من الشِّرك بك من عبادك ، فرجع إلى توحيدك .

﴿ وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ ﴾ أي : وسلكوا الطريق الذي أمرتَهُم أن يسلكوه ﴿ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ أي : واصرف عنهم عذاب النار يوم القيامة ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ ﴾ أي : يا ربنا وأدخلهم بساتين إقامة ، التي وعدت أهل الإنابة أن تُدخلَهُم إياها ﴿ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ﴾ أي : وأدخِلْ مع هؤلاء مَن صَلَحَ من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ، فعمل بما يُرضيك عنه من الأعمال الصالحة في الدنيا . وهذا يشير إلى أن الله تعالى سيجمع بين الآباء والأبناء والأزواج في مساكن متجاورة في الجنة ، لتقر أعينهم ، فضلاً منه ورحمة . ﴿ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ أي : إنك أنت يا ربنا العزيز في انتقامه من أعدائه ، الحكيم في تدبيره لأمور خلقه.

﴿ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ ﴾ أي : واصرف عنهم سوء عاقبة سيئاتهم ﴿ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ ﴾ أي : ومن تصرف عنه سوء عاقبة سيئاته يوم القيامة ، فقد رحمته ونجيته من عذابك ﴿ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ أي : وذلك ـ لا شك ـ هو الفوز العظيم ، لأن مَن نجا من النار فقد فاز .. وإلى هذا

يشير الله تعالى فى قوله : ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾[1] وقوله : ﴿ لا يَسْتَوِى أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾[2] .

فعلى الأخ المسلم ، والأخت المسلمة .. أن يحرصا كل الحرص على أن يكونا من التائبين المستغفرين ... بل وعليهما كذلك أن يتبعا سبيل الله على هذا الأساس الذى وقفَا عليه ، وهو أن يسلكا الطريق المستقيم ، حتى لا يضلاَّ أو يزلاَّ .. كما يوصينا الله تعالى بهذا فى قوله : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِى مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[3] .

مع ملاحظة أنه بالمجاهدة يمكن تحقيق هذا إن شاء الله ... قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[4] .

وحسبهما - إن نجحا فى تحقيق هذا - أنهما سيفوزان بدعاء الملائكة الأخيار الأطهار ، الذى نسأل الله تعالى أن يجعلنا أهلاً له ... اللهم آمين ..

والله ولى التوفيق .

***

---

(١) سورة آل عمران ، من الآية ١٨٥ .

(٢) سورة الحشر ، الآية ٢٠ .

(٣) سورة الأنعام ، الآية ١٥٣ .

(٤) سورة العنكبوت ، الآية ٦٩ .